مقدمة

منذ طفولتى وأنا أحلم بالطواف حول العالم وقد دفعنى الى ذلك أول درس فى الجغرافيا تلقيته فى طفولتى ومنـــه علمت أن الارض كروية .. ومنذ ذلك التاريخ وأنا أتمنى القيام برحلة حول العالم لأتحقق بنفسى من كروية الارض .

ولكننى عندما كنت أفكر فى ذلك الموضوع لم أكن أتخيل أن ذلك ليس أكثر من حلم تنفيذه محال .... كنت أذكر بينى وبين نفسى وحولى أهلى ومن أعرف وكلهن محجبات أن السعى وراء مثل هذه الفكرة تعرض صاحبتها وخاصة اذا كانت شرقية فى بيئة محافظة الى القيل والقال . ! وكنت أسرح بذهنى وأتخيل أننى اذا لم أكن أهتم بالقيل والقال فكيف أحصل على تلك المبالغ الباهظة التى تتطلبها رحلة حول العالم ، وكنت أحاول أن أنحى هذا الخاطر عنى باعتباره مستحيلا كالعنقاء والصديق الوفى ....

ومرت الايام وتطورت الظروف وأصبح الحلم حقيقة واقعة .

آمنت بأنه يجب حذف كلمة « المستحيل » من القاموس .... وأننا ما دمنا لا نطلب القمر فكل شىء ممكن وميسور .

ليس معنى ذلك أن تحقيق هذا الامل كان شيئا يسيرا ، اذ كان لابد على أن أنتظر الظروف وألتمس المناسبات التى تمهد لى الطريق، وقد حانت الفرصة عندما تلقيت دعوة من الولايات المتحدة لالقـــاء سلسلة محاضرات هناك عن مصر والمرأة المصرية وأشارت الدعوة الى أنها تشمل الاقامة فى الولايات المتحدة ، وأن أصحابها يلتزمون بتقديم تذكرة ذهاب من القاهرة الى سان فرانسيسكو والعودة منها .

وجلست بخريطة العالم ، وفكرت فى تحويل الرحلة الى أمريكا الى رحلة حول العالم ورسمت لنفسى أن تكون عودتى عن طريق المحيط الهادى لا عن المحيط الاطلنطى والبحر الابيض المتوسط ٠

ومضيت أسأل احدى شركات الطيران عن فرق ثمن التذكرة وتبين فى الاجابة أنه فرق محتمل لميزانيتى ٠

وفى الحق لم يكن فرق ثمن التذكرة هو العقبة الوحيـــدة فى الموضوع . كان على أن أفكر فى تلك المبالغ الكبيرة التى تتطلبها اقامتى فى مختلف بلاد أوروبا وآسيا والشرق الاوسط ٠

تذكرت حينئذ أنه قد ســـــبق لى أن تلقيت دعوات من بعض الحكومات والهيئات النسائية فى أوروبا وآسيا لزيارة كثير من مدن تلك البلاد والقاء محاضرات فيها عن المرأة المصرية ، فاتصلت بسفير كل بلد من تلك البلاد وأبلغته أنى قبلت الدعوة ٠

كان ذلك قبل الموعد المحدد لسفرى بشهر وخيل الى أن كل شىء على ما يرام وأن الامر أهون من التفكير فيه وأن كل المصاعب مذللة وجميع الظروف مهيأة لنجاح الرحلة ٠

بيد أن عقبة ضخمة هائلة قامت فى وجهى وكادت أن تحطم آمالى وتعصف بكل ما أعددته لرحلتى ، اذ وصلتنى برقية من أصحاب الدعوة بالولايات المتحدة يقولون فيها أنه يجب أن أتأكـــد أولا من قدرتى وتمكنى من اللغة الانجليزية اذ ان المحاضرات العديدة التى سألقيها فى كبريات المدن الامريكية ستكون باللغة الانجليزية ٠

كنت فى تلك الايام لا أعرف اللغة الانجليزية معرفة جيدة تتيح لى أن أقتحم المنابر وأعتليها أمام أشهر الصحفيين فى العالم لأشرح قضية المرأة المصرية بقدرة تشبه القدرة التى يمكننى بها أن أتحدث فى هذا الموضوع سواء باللغة العربية أو باللغة الفرنسية ٠

وكان على اذن أن أخطب بعد شهر بلغة انجليزية فصيحة ٠

ان طبعى أقوى من اليأس ، لذلك عزمت فى عناد واصرار أن أتقن اللغة الانجليزية فى شهر ؟ ٠٠

وأخذت أفكر كيف أحصل على نتيجة مرضية فى اللغة الانجليزية فى هذا القدر الضئيل من الزمن وتذكرت أننى قد سبق لى أن قرأت اعلانا فى بعض الصحف عن دراسات باللغـــات الحيـة عن طريق « الاسطوانات » ٠

وكانت الطريقة عبارة عن كتاب فيه ثلاثون درسا ومعه ثلاثون اسطوانة فقررت أن أحفظ فى كل يوم درسـا وأن أســـافر بعد شهر ٠

انها ثلاثون يوما بعدها أطوف حول العالم فليكن نصيب كل يوم درسا أقرؤه فى الكتاب وأراجعه مع الاسطوانة ٠

لا يأس مع الحياة ٠٠٠٠ لقد حفظت ثلاثين درسا فى ثلاثين يوما وأصبحت بعد تلك الايام الثلاثين أستطيع أن أقف على أى منبـــر وأتحدث باللغة الانجليزية فيفهمنى الناس ٠

انتصرت أخيرا فحصلت على تذكرة السفر وتعلمت اللغـــة الانجليزية وبقى على أن أرتب برنامج الرحلة ٠

قررت ألا أغيب عن وطنى الحبيب أكثر من ثلاثة أشهر وأن أزور فى الشهور الثلاثة أهم عواصم البلاد فى أوروبا وأمريكا وآســـيا والشرق الاوسط وأخذت أراجع كثيرا من المعلومات المكتوبة عن تلك البلاد حتى لا تغيب عنى أثناء زيارتى لها شاردة ولا واردة ٠٠٠

قبل موعد السفر بيوم واحد تفضلت زميلاتى أعضاء اتحاد بنت النيل فاجتمعن بى فى حفل لتـوديعى ، وقامت احداهـن وتحدثت بايمان وثقة عن رسالة المرأة المصرية فى الخارج وعن الدعاية القوية المثمرة التى فى امكانها القيام بها لمصر هناك ، وقالت سيدة أخرى فى كلمة لها أنه ان لم يكن لمصر سفيرات فى الخارج الى الآن فان من

واجبنا نحو وطننا أن نلتزم فى وجودنا خارج مصر حدود السفيرات « غير الرسميات » وأعتبرت هذه السيدة أننى سأقوم غـــدا بهذه الوظيفة · وتمنيت على الله التوفيق ·

وتحدث الجميع بحماسة عن قيمة المرأة فى الحياة الدولية وعن الدور الذى يجب أن تقوم به المصرية نحو بلادها لا فى مصر وحدها بل فى جميع أنحاء العالم المتمدين ·

وانشرح صدرى وطغت على موجة من الفرح لهذا الايمان القوى الذى يملأ قلب المرأة المصرية واستعرضت هذا الشـــــوط الطويل الجبار الذى قطعناه فى سبيل تحررنا ·

لقد داخلتنى طمأنينة عجيبة وأنا أستمع الى المحدثات فى حفل توديعى ، وطمأنينة أبرزت تآزر المصريات اللائى تخلصن من قيـــود الماضى بلا رجعة ·

ان أكبر دليل على بروز شخصية المرأة المصرية كان واضحا جدا فى تلك الرحلة الطويلة الشاقة التى اعتزمت القيام بها والتى سيقوم بمثلها فيما بعد كثير من المصريات ليعبرن للعالم أجمع عن مـدى تقدم المرأة المصرية وقدرتها على أداء الواجب نحو وطنها فى الداخـل والخارج ، وعن مدى تقدم رجالها الذين يعاونون نساءهم فى تحقيق هذا الهدف أيضا ·

ان معاونة المرأة فى مثل هذا دليل مادى على نضج الرجال واتساع مداركهم ·· انه لا يوجـد رجال مستعبدون حيث توجـــد نساء متحررات ·

وعندما حان موعد قيام الطائرة لاحظت الدموع على خدود طفلتى ورأيت شيئا من الحيرة فى عينى زوجى ، وحزنت لهـــذه الدموع وأشفقت من هذه الحيرة ·

انه لشىء طبيعى أن تفلت الدموع من عيون الصغيرتين وأن تمر

سحابة من الاسى على وجه زوجى فانه لم يسبق لى قط أن تركت أسرتى لمثل هذه المدة الطويلة ·

وككل أم لها أطفال انزعج خاطرى وأنا أنظر لابنتى اللتين تقفان مودعتين أمهما لسفر طويل وتتابعت على ذهنى صور بغيضة مؤذية·· ترى اذا مرضت احداهما فى غيبتى من يقوم على تمريضها ؟

ترى أيقطعان الايام التسعين التى أغيبها كما يقطعان أيامهما فى رعايتى ؟

لقد كدت أبكى لولا أن الله سبحانه وتعالى شد من أزرى وغيب الدموع عن عينى وأطاح باليأس الذى أحسسته قويا جارفا لأول مرة فى حياتى واستطعت أن أتمالك مشاعرى وبادرت الى تشجيع الصغيرتين قائلة وأنا أربت على كتفيهما « ثلاثة أشهر يفوتوا قوام ·· دى الايام بتجرى ··· » ·

وعادت الابتسامة الحلوة على الوجهين الناضرين وودعتهما وودعت زوجى وصعدت الى الطائرة باسم الله مجريها ومرساها مؤمنة بتوفيقه مطمئنة الى رعايته ·

❖

أعلن قائد الطائرة أننا سنصل الى روما فى اليوم التالى ثم عقب ذلك بكلمات طيبة وقبل أن نتأهب للنوم بدأ يشرح لنا كيفية استعمال « الباراشوت » فى حالة أى حادث للطائرة ·

وسمعت من قرب صوتا يتحدث باللغة العربية قائلا : « قال الله ولا قالك ياشيخ ··· »

وحاولت أن أفهم شرح طريقة استعمال البارشوت ، ولكننى لم أدرك شيئا من هذا الشرح فقد كان قائد الطائرة يتحدث بلغة انجليزية وفى لهجة مدغومة وبسرعة يصعب على المجيدين فى هذه اللغة أن يتبينوها فى وضوح لذلك شرح الرجل وأطال الشرح ولم أفهم حرفا مما قال ·

وهكذا أزعجنى قائد الطائرة حيث كان يقصد من كلامه بث الطمأنينة فى قلوبنا ·· أنه لفت نظرى الى أننى معرضة للموت ولم يفدنى كيف أتقى هذا الموت ·· ثم أزعجنى لانتى لم أفهم من كلامه حرفا . وبدا لى أن كل ما بذلته فى دراسة اللغة الانجليزية انما كان عبثا وهباء ·

لقد كان أول القصيدة كفرا كما يقولون ····

أخذت أفكر فيما لو نجوت من كوارث الطائرة فكيف أنجو من كوارث المحاضرات باللغة الانجليزية ؟

وأخيرا رأيت أن أطرد من ذهنى الفكرتين معـــا ، فكرة حادث للطائرة وفكرة التحدث باللغة الانجليزية ، وطلبت من المضيفة أن تعطينى قرصا منوما وليكن ما يكون بعد ذلك··ففى وقت الكارثة·· أو القاء المحاضرات ·· يبقى يحلها الحلال ! ··